

الصراع الدولي والاقليمي في الشرق الاوسط واثره على المنطقة العربية (انموذج ثورات الربيع العربي)

م. صدام مريمر عرعوية^(*)

المقدمة

ان الصراع الدولي على منطقة الشرق الأوسط قديماً قدم الحضارات الأولى التي نشأت في هذه الارض، فقد ولدت الحياة في الشرق وعرفت البشرية معنى الشمس في هذه الرقعة الجغرافية المسماة "الشرق الاوسط"، وهذا الصراع قبل الاستكشافات النفطية وذلك بسبب الموقع الاستراتيجي لهذه المنطقة.

فلا شك ان المناطق الاستراتيجية في العالم تحظى باهتمام وتنافس دولي كبير من اجل السيطرة على مواردها ومصادر الطاقة فيها، ولعل منطقة الشرق الاوسط تعد من ابرز المناطق التي تمتلك مصادر الطاقة، اضافة إلى اهميتها الحضارية والدينية والاستراتيجية، ولهذا تكالبت عليها القوى الدولية على مر العصور، وبالرغم من تعدد المفاهيم والتعاريف حول تحديد الموقع الجغرافي لهذه المنطقة، فالبعض يرى بانها تشمل منطقة العراق والخليج العربي وتركيا وايران ومصر وسوريا ولبنان والاردن، وهناك من يضيف إليها دول اسيا الوسطى، بل ان البعض يرى منطقة الشرق الاوسط تمتد حتى القرن الافريقي.

هدف الدراسة : يهدف إلى ابراز اهمية الشرق الاوسط في استراتيجية القوى الدولية والاقليمية وبيان القوى المهمة بهذه المنطقة، وماهي دوافعها السياسية والاقتصادية والامنية، كما يسلط الضوء وعلى مكامن واسباب الصراع الحقيقية في

(*) كلية القانون والعلوم السياسية، جامعة كركوك.

منطقة الشرق الاوسط، ومن هي الدول الفاعلة في هذه المنطقة، ومحاولة وضع الحلول والمعالجات المناسبة لهذا الصراع الذي دمر البلاد وقتل وهجر العباد.

أهمية الدراسة : في ابعاد الصراع الدولي والاقليمي واثاره الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والانسانية والنفسية على المواطنين في هذه المنطقة، مما دفع بالملايين الى الهجرة الى اوربا ودول اقليمية اخرى، ومن هنا يستوجب البحث عن اسس هذا الصراع ودوافعه.

إشكالية الدراسة : إن ما تمتاز به منطقة الشرق الاوسط من خصائص جيوسراتيجية جعلها محط انظار العديد من دول العالم، وباتت منطقة صراع بين هذه الدول من ناحية وتقاربت ارادات ومصالح البعض منها، بما انعكست تداعيات هذا الصراع على دول المنطقة، محدثة موجة من التحولات السياسية والاقتصادية في العديد من الدول ولا سيما الدول العربية، ومن هذه الاشكالية تثار الاسئلة الاتية :

١. ما هو مفهوم الشرق الاوسط وما هي اهميته؟

٢. من هي القوى الدولية والاقليمية المتصارعة في الشرق الاوسط؟

٣. ماهي تداعيات هذا الصراع على دول المنطقة؟

فرضية الدراسة : تقوم فرضية الدراسة على اثبات ان منطقة الشرق الاوسط باتت تشكل اهمية استراتيجية للعديد من القوى الاقليمية والدولية.

منهجية الدراسة : تم اعتماد المنهج التاريخي، في دراسة التطورات التاريخية لمفهوم الشرق الاوسط، بالإضافة إلى الاعتماد على المنهج التحليل النظامي في معالجة أهم اسباب الصراع وطبيعته وأنواعه، ثم المنهج المقارن في دراسة الاحداث في هذه المنطقة الاقليمية الحيوية.

هيكلية الدراسة : سيتم تقسيم البحث إلى مقدمة وخاتمة وثلاث مباحث :

المبحث الاول : الشرق الأوسط المفهوم والاهمية

المبحث الثاني : القوى الدولية والاقليمية المتصارعة في الشرق الاوسط

المبحث الثالث : اثر الصراع الدولي على المنطقة العربية (انموذج ثورات الربيع العربي

(٢٠١١)

المبحث الاول: الشرق الأوسط المفهوم والاهمية

يرجع أصل تسمية الشرق الاوسط إلى الدول الاستعمارية وهو تعبير اطلقتها لوصف المنطقة الجغرافية الواقعة ما حول وشرق وجنوب البحر الأبيض المتوسط، وتمتد إلى الخليج العربي، يستعمل هذا المصطلح للإشارة للدول والحضارات الموجودة في هذه المنطقة الجغرافية. سميت هذه المنطقة في عهد الاكتشافات الجغرافية من قبل المكتشفين الجغرافيين بالعالم القديم وهي مهد الحضارات الإنسانية وكذلك مهد جميع الديانات السماوية، وهناك عدة تسميات تشير الى نفس المعنى الاقليمي ولكن لفترات ودواع مختلفة نذكر منها ^(١):

١. الشرق القديم أو (الاقدم) :

لقد استخدم علماء الآثار والحضارة هذا المصطلح للدلالة إلى المنطقة التي نشأت فيها أولى حضارات الارض أو ما تسمى بالعالم القديم، وهي المنطقة الممتدة من مصر والعراق وبلاد الاناضول وايران غرباً .

٢. الشرق الادنى :

وهو مصطلح أستعمله البريطانيون في أواخر القرن التاسع عشر للدلالة على السلطنة العثمانية، بامتدادها في البلقان من البانيا وشمال اليونان الى الجزيرة العربية ومصر والسودان وطرابلس الغرب، وقد قسمت الخارجية الامريكية، شؤون الشرق الادنى على مكيتين : الاول خاص بتركيا واليونان وايران والثاني خاص بالدول العربية، واستخدمت الهيئات الرسمية وغير الرسمية في ألمانيا مصطلح الشرق الادنى أيضاً، للدلالة على الاقليم الممتد من بحر قزوين والقوقاز والبحر الاسود في الشمال إلى البحر العربي في الجنوب بحيث تشمل الدول الممتدة من ايران وتركيا في الشمال الى دول جنوب الجزيرة العربية والسودان في الجنوب، والمنطقة الممتدة من ايران في الشرق الى ليبيا في الغرب، وأطلق الألمان مصطلح الشرق الاوسط على أقليم مختلف

^(١) يحيى احمد الكعكي : الشرق الأوسط وصراع العولمة . دار النهضة العربية. بيروت ٢٠٠٢. ص ١٢٤ ص ١٢٥.

٣. الشرق الأقصى :

لقد اتفقت أغلب الكتابات الانكليزية والفرنسية والعربية في الامم المتحدة على إطلاق تسمية الشرق الاوسط كبديل للمصطلحات السابقة، وللأشارة إلى المنطقة الممتدة من تركيا شمالاً الى اليمن جنوباً، ومن ليبيا غرباً الى ايران شرقاً، ويرتبط ظهور مفهوم الشرق الأوسط وانتشاره بتطور الفكر الإستراتيجي الإنجليزي، حيث استخدم هذا التعبير أول مرة عام ١٩٠٢م بواسطة ضابط بحري أمريكي هو (الفريد ماهان) صاحب نظرية القوة البحرية في التاريخ، وتطور استخدام هذا المفهوم حتى جاءت الحرب العالمية الثانية لتؤكدده، فأنشأ مركز تموين الشرق الأوسط وقيادة الشرق الأوسط وذاع هذا المفهوم في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك، فلا تزال هناك اختلافات عديدة حول تحديد المنطقة التي يشار إليها بهذا المصطلح^(١).

ولعل ابرز المقومات الرئيسة التي يتسم بها هذا الاقليم من النواحي الطبيعية والديمغرافية هي :

١. المناخ الجاف أو شبه الجاف الذي يسيطر على المنطقة، وله آثار واضحة على أنماط الزراعة ومحاصيلها ووسائلها.

٢. عمران كشاف حول الانهار والمستنقعات المائية، وعلى طول الانهار.

٣. إنتشار الحضارة العربية_الاسلامية في معظم هذه المنطقة.

(¹) للمزيد من المعلومات، ينظر للرباط الالكتروني في موقع المعرفة :

[illegible]

العدد (١١)

إن أهمية الشرق الأوسط من الموضوعات ذات الأهمية الكبيرة في السياسة الدولية، وهناك عدة تساؤلات، ومنها لماذا كل هذه التوترات في منطقة الشرق الأوسط ؟ وماهي أهمية هذه المنطقة؟.

وفي العام ٢٠٠٥، قام مركز الولايات المتحدة وأوروبا في معهد بروكينز، وأربع منظمات أوروبية رائدة: (معهد الاتحاد الأوروبي للدراسات الأمنية، وكلية كينغز في لندن ومؤسسة العلوم في برلين، ومؤسسة الدراسات الاستراتيجية في باريس) بتوحيد الجهود في مسعى لتطوير تحاليل مشتركة وأستراتيجية متممة للآزمات الممتدة في الشرق الأوسط، في بادئ الامر اقام المركز لجاناً من الخبراء رفيعي المستوى في الشأن الأطلسي، والبحث عن الطرق الكفيلة لردم بعض الهوات الاساسية في منطقة الشرق الأوسط، وإيجاد الحلول لاحتواء هذه المنطقة^(١).

لو أمعنا النظر في خارطة العالم وأستعنا بكتب التاريخ المعاصر للحروب لوجدنا أنه خلال المئة سنة الماضية حدثت كل الحروب على وجه العالم في هذه المنطقة سواء حروب بشكل مباشر بين القوى الدولية الكبرى أو حروب بالوكالة (بالنيابة عن القوى الكبرى)، وكل ذلك، لأن في هذه المنطقة العديد من المقومات التي تجعل كل القوى العالمية تخشى من الاستقرار في هذه المنطقة.

وللمنطقة العربية خصوصية تميزها عن باقي بلدان العالم وهذه الميزة ليست اقتصادية أو تجارية او استراتيجة فحسب وانما خص الله هذه البقعة من الارض بصفات عديدة جعل لهذه المنطقة أهميتها ، وفي ما يلي سنوضح بعض منها:

١. الجانب الحضاري والتاريخي: تُعدّ هذه المنطقة مهد للحضارة، ومولد أولى الحروف وموطن الكلمة والكتابة في العالم واول من صنع وأنشئ الابنية الحضارية، حيث نشأة فيها العديد من الحضارات نذكر اهمها على سبيل المثال (حضارة وادي الرافدين "بابل واشور وسومر واكد "وحضارة وادي

^(١) أيفو دالدر وآخرون : هلال الآزمات "الاستراتيجية الأمريكية_الأوروبية حيال الشرق الأوسط الكبير". الدار العربية للعلوم ناشرون. ترجمة : حسان البستاني. بيروت ٢٠٠٦. ص ٩.

النيل " الحضارة الفرعونية" والحضارة الفينيقية في بلاد الشام)، وكانت تتبع نظاماً قانونياً وسياسياً يرتب حياة الناس، في الوقت الذي كانت باقي شعوب العالم تعيش في الكهوف وعصور الظلام، وتخاف من الشمس لشدة حرها، وقد نشأ تنوع فكري وثقافي، نتيجة وجود تلك الحضارة.

٢. الجانب الديني : (وهو ذو الاهمية الكبرى لمنطقتنا ومحرك الصراع الخفي) إن هذه المنطقة مهد للديانات السماوية الثلاث الكبرى في العالم (اليهودية والمسيحية والاسلامية)، فكل أنبياء الارض نزلت رسالاتهم في هذه البقعة من العالم، ما بين (مصر وفلسطين وبلاد الشام والعراق والاردن ونجد والحجاز) وإلى هذه الديار تهوى كل أفئدة وأنظار المؤمنين في جميع انحاء العالم.
٣. الجانب الاقتصادي: ترجع الاهمية الاقتصادية لمنطقة الشرق الاوسط لعدة مميزات نستعرض أهمها:

أ-وجود النفط فيها ويقدر احتياط النفط في الشرق الاوسط بـ ٦٦% من احتياط النفط العالمي، في نهاية القرن العشرين انتج الشرق الاوسط حوالي ثلث الانتاج العالمي من النفط وتعد هذه المنطقة المزود الرئيس للنفط للعالم المتطور وخاصة أوروبا، الولايات المتحدة الاميركية، روسيا، واليابان، وهذا اعطى لبعض الدول في الشرق الاوسط قوة اقتصادية اثرت كثيراً على شعوب المنطقة، النفط الشرق اوسطي موجود بكثرة في منطقة الخليج العربي، وعلى هذا الاساس تحاول الدول الكبرى ان تشرف على المنطقة، واليوم المشرف الوحيد على المنطقة هو الولايات المتحدة الامريكية، وبصفة خاصة للنفط في الشرق الاوسط لأنه غير مكلف، فمن كل بئر نفط تستخرج كميات كبيرة ولا حاجة لحفر ابار كثيرة وعميقة.

- ب- وجود موارد اقتصادية لا حصر لها، ومعادن ثمينة جديدة في منطقة الشرق الاوسط، مثل اليورانيوم، والزئبق، والفوسفات والغاز.
- ت- يُعدّ الشرق الاوسط من أكبر الاسواق المستهلكة للسلاح، لقد صرفت دول المنطقة الكثير من الاموال من اجل الحروب وشراء الاسلحة في الشرق

الاطوسط حيث كلفت مليارات الدولارات، كان بإمكان هذه الاموال الطائلة ان تحول الشرق الاوسط إلى جنة، وتنقل شعوبه إلى مصاف الشعوب المتطورة.

ث- وجود طاقات بشرية وعلمية مهمة، وغالبية هذه العقول العلمية مهجرة في اميركا واوروبا، فضلاً عن وفرة اليد العاملة .

٤. الجانب الايديولوجي : إن منطقة الشرق الاوسط تختلف اختلافاً كبيراً عن جميع مناطق العالم، فشعوب هذه المناطق أغلبها كانت صاحبة حضارات قديمة وكبيرة قادت النظام العالمي لسنين طويلة، وهي دائماً تطمح لإعادة أمجاد هذه الحضارات، وظهرت عدة محاولات لتوحيد الامة منذ عهد الراحل جمال عبد الناصر ومجموعة من الزعماء والمفكرين القوميين العرب، وبالتالي فهي تشكل خطراً على قادة النظام العالمي.

٥. الجانب الاستراتيجي : إن لهذه المنطقة أهمية كبيرة نظراً للعديد من النظريات التي تبين أهمية هذه المنطقة وأن الذي يسيطر على هذه المنطقة يسيطر على العالم. وتختلف أهمية الشرق الأوسط اختلافاً كبيراً تبعاً للعواصم الكبرى، والصغرى في الحقيقة التي ينظر كل منها إليه، فما تراه موسكو في الشرق الاوسط مختلف جداً عما تراه واشنطن، ولموسكو رغبات هامة في الشرق الاوسط، وأحلام قديمة في السيطرة على هذه المنطقة، ولواشنطن مصالح حيوية أكبر في هذه المنطقة، وهي المهيمن وبشكل كبير على هذه المنطقة، فضلاً عن بريطانيا التي لها تاريخ طويل من الاستعمار والسيطرة على المنطقة ولازالت تمتلك شركات للنفط في منطقة الخليج العربي، وتعتبرها منطقة نفوذ مهم لها^(١).

(١) سيف الهرمزي، مقترحات القوى الذكية الاميركية كآلية من آليات التغير الدولي " الولايات المتحدة الأمريكية أنموذجاً"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة ٢٠١٦، ص٢٤٨-٢٧٠.

ثانياً _ التدخلات الخارجية في الشرق الأوسط

لم يكن الصراع على الشرق الأوسط غريباً عن صراعات الشرق الأوسط ذاتها، إذ دخلت سياسات القوى الخارجية وحساباتها في توجهات القوى المحلية، ودخلت القوى المحلية كلها في مخططات القوى الخارجية، بل دفعت القوى المحلية نفسها الامور احياناً إلى حافة الهاوية عن وعي، كي تحت القوى الخارجية على التدخل لمنع الكارثة، لكن كم من قفزة في الهواء أودت بصاحبها إلى الهاوية مدفوعاً إليها، دون وعي، من الخارج^(١).

كانت منطقة الشرق الأوسط منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى عام ١٩٦٧ مسرحاً استراتيجياً هامشياً إلى حد ما على الصعيد العالمي، ولكنها أخذت بعداً جديداً خلال السبعينيات من القرن الماضي مع انطلاق التسارع الإقليمي نحو التسليح وحرب أكتوبر/تشرين الأول ١٩٧٣، التي أدت إلى استنفار القوتين النوويتين السوفييتية والأمريكية، إلى جانب الآثار السلبية التي أحدثتها عدم استقرار أسواق النفط على الاقتصاد العالمي^(٢).

كان الصراع في الشرق الأوسط، وحتى نهاية الحرب الباردة، صراعاً كغيره من الصراعات المتضمنة في جدول القوتين العظميين، وكانت واشنطن وموسكو تتابعان مجريات الأحداث عن كثب على غرار اهتمامهما بالنزاعات الأخرى التي كانت في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية مسرحاً لها، لقد كان الأمر يتعلق فعلاً بمنطقة منافسة بين الشرق والغرب، وكان العالم برمته يدور حول هذا المحور الذي لم تكن منطقة الشرق الأوسط مستثناة منه، لقد كان لصراع الشرق الأوسط خصائصه المميزة بكل

(١) هنري لورنس : اللعبة الكبرى " الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية"، ترجمة محمد مخلوف، دار قرطبة للنشر والتوثيق والابحاث، مكناس ١٩٩٢. ص ٥.

(٢) صدام مرير الجميلي، صراع الدول الكبرى للهيمنة على النظام العالمي، دار المنهل اللبناني، بيروت ٢٠١٦، ص ٢٠٨.

تأكيد، ولكن ذلك كان ينطبق أيضاً على الهند الصينية وأمريكا الوسطى وأفغانستان والقرن الإفريقي.

كانت الأولوية الاستراتيجية لمسرح الأحداث في أوروبا، ذلك أنها منطقة التواصل والانشقاق بين الشرق والغرب، وما حائط برلين والجدار الحديدي إلا رمزان لوجود العالم المزدوج القطبية في ذلك الحين، وعلى خشبة ذلك المسرح بالذات كانت تتحدد ملامح مستقبل العالم، إلى درجة أن منطقة الشرق الأوسط لم تكن موضع اهتمام على مستوى مراكز البحث والدراسات الجامعية، سوى من قبل المختصين بشؤونها، وباستثناء بعض المبادرات الشخصية، فإن خبراء المجال الجيوستراتيجي لم يكونوا يعيرون المنطقة اهتماماً كبيراً، ولكن الأمر تغير اليوم، بحيث بات الشرق الأوسط محوراً استراتيجياً بالغ الأهمية إلى درجة أن الدارسين للإشكاليات الدولية، باستثناء الاختصاصيين المعنيين بالمناطق الأخرى، لم يعد بإمكانهم تجاهل هذه المنطقة على الإطلاق، فالمختصون بالمسائل الإفريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية لا يتناولون منطقة الشرق الأوسط إلا من منظور المواطن العادي، أما المتخصصون في المسائل الدولية والجيوستراتيجية، فقد أصبح الشرق الأوسط، بالنسبة إليهم، من المسائل المتداولة يومياً^(١).

لقد كان هناك دائماً نوع من التوتر بين صورتين للمنطقة إحداهما هي صورة النظام العربي، والآخرى هي نظام الشرق الأوسط (الدول الغير عربية)، لقد عززت الازمات دور الدول الغير عربية مثل ايران واسرائيل وتركيا، وكل من ايران وتركيا تطمحان في لعب دور أكبر وتحقيق نفوذ أوسع، ونعتقد ان المنطقة سوف تتطور وتستقر في اطار تفاعل النظامين العربي، والاقليمي^(٢) (ما عدا إسرائيل).

(١) المرجع السابق، ص ٢٢٨.

(٢) مجموعة من الباحثين، أزمة الخليج ومستقبل الشرق الأوسط "رؤية عربية وأمريكية"، مركز أبن خلدون للدراسات الانمائية، القاهرة ١٩٩٢، ص ٤٨.

في هذا المكان بالذات يتحدد فعلاً مستقبل الأمن الدولي، والتأكيد على ذلك لا يعني أن المواجهة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي أمر لا مناص منه، بل العكس تماماً، فهي ليست قدراً لا يمكننا تفاديه، ولكن التأكيد، في الوقت نفسه، على المركزية الاستراتيجية للشرق الأوسط معناه إدراك الجهود التي يتعين بذلها والعمل الذي يجب إنجازه من أجل تفادي وقوع صدام الحضارات، لأننا إن لم نكن متيقظين فإنه سوف يقع لا محالة، ومع كل أسف، كنا خلال السنوات الماضية نقترّب من هذا الصدام أكثر بدلاً من ابتعادنا عنه.

أما حين نتحدث عن الصراع العربي - الإسرائيلي الذي تحول إلى صراعاً إسرائيلياً- فلسطينياً، وبدأ العرب قبل غيرهم السعي لترك فلسطين باعتبارها الممثل الوحيد للقضية الفلسطينية دون السعي الصادق لحل هذه الكارثة، ورافق هذا الاختزال الجغرافي تزايد مستمر لأهمية الصراع في تحديد مفهوم الأمن الدولي، ومن الغريب أن صاموئيل هنتنجتون، الذي توقع أن تكون الحروب الأيديولوجية في القرن العشرين نتيجة لصراع الحضارات، لم يخصص سوى بضعة أسطر للصراع الإسرائيلي- الفلسطيني في كتابه "صدام الحضارات"، ولم يجعل منه الموضوع الأساسي للتدليل على نظريته، مقتصرأً على المماثلة بين الحضارة اليهودية (التي لم يصنفها من بين الحضارات الثمانية التي ميزها) والحضارة الغربية، بينما ركز هنتنجتون على موضوع العولمة وفسرها بـ "سيادة الشركات العابرة للقارات التي تقضي على الدولة القومية، وتقوي النزاعات الداخلية في الدولة الواحدة بهدف إضعاف مقاومتها لسيادة السوق العالمية، وذلك لأن عالم مابعد الحرب الباردة سيعتمد على الإعلام كدعامة رئيسية في ترويج مبادئه الاقتصادية والسياسية"^(١).

ومع ذلك، فإن العالمين العربي والإسلامي يعتبران استمرارية الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني دليلاً على عدوانية العالم الغربي تجاههما، على الرغم من

^(١) صاموئيل هانتجنتون، صدام الحضارات " إعادة صنع النظام العالمي"، ترجمة طلعت الشايب، دار سطور، عمان ١٩٩٩، ص ٣٦.

اختلاف المواقف تجاه هذا الصراع بين الغربيين أنفسهم، وخاصة بين الأمريكيين والأوروبيين.

ثالثاً_ أهم الحروب في الشرق الأوسط :

يعد الشرق الأوسط من أكثر مناطق العالم توتراً أمنياً حيث شهد أكثر من ١٠ حروب منها الحروب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨، والعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، والعدوان الاسرائيلي على مصر وسوريا ولبنان والاردن عام ١٩٦٧، وحرب التحرير عام ١٩٧٣، والحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨١، والتي أستمريت ثماني سنوات ودخول العراق للكويت عام ١٩٩٠، وحرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، والضربة الجوية الامريكية للعراق عام ١٩٩٨، وكان آخرها غزو العراق ٢٠٠٣، الاحتلال الأمريكي والبريطاني لدولة العراق، إضافة الى المشكلة النووية الإيرانية والاحتلال الإسرائيلي لفلسطين والحروب الإسرائيلية على لبنان واهمها في العام ١٩٨٢ و آخرها عام ٢٠٠٦.

المبحث الثاني: القوى الدولية والاقليمية المتصارعة في الشرق الاوسط

تتغير القوى الدولية والاقليمية بتغير معطيات القوة للدول، ومن ثم فان منطقة الشرق الاوسط من أكثر المناطق التي مرت بمراحل عديدة اختلفت فيها القوى الاقليمية، ولن نتحدث عن القوى الاقليمية في المراحل التاريخية، لذلك سنكتفي بالحديث عن اهم القوى الاقليمية في منطقة الشرق الاوسط مابعد العام ٢٠١٠ :

١. إيران :

ان النظام الايراني استثمر التوترات الدولية التي اعقبت احتلال العراق في ٢٠٠٣، من خلال الدخول في تحالفات دولية واقليمية، واقامة علاقات جيدة مع روسيا والصين، اللذان اصبحا يعارضان السياسة الامريكية وتدخلها في منطقة الشرق الاوسط .

في ما يخص تنامي القوة الإيرانية بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣، وتقسيمه بين نفوذ القوى الكبرى والسيطرة الإيرانية، فهو نتيجة لمخطط إدخال إيران إلى نادي

القوى الكبرى التي تسعى للهيمنة على هذه المنطقة والاستفادة من ثرواتها وخيراتها، فقد عبر بريجنسكي قائلاً : " إن إيران أمة ذات إرث تاريخي عريق وينبغي أن تلعب دوراً مهماً في المنطقة، وأعتقد ان إيران ستجد شكلاً من أشكال التوافق مع المجتمع الدولي، على الأقل بشكل اسرع واسهل مما يمكن ان تصل إليه كوريا الشمالية، وذلك لوقوع ايران في قلب ساحة مشروع المحافظين الجدد الذي يجعل منها رقماً صعباً، بشكل متزامن مع إطلاق اميركا للحرب على العراق وأفغانستان، والتي اظهرت الحاجة إلى إيران"^(١). وهذا ما عزز التحالف الأمريكي - الإيراني الخفي للإظهار أيران بصورة المتحكم في منطقة الخليج وتهديد دول الخليج العربي لإجبارها على شراء السلاح وطلب الحماية الأمريكية .

يبدو جلياً أن لإيران مصالح حيوية مهمة في العراق وهي جادة ومصممة على السعي للدفاع عنها، ولذا تحاول السياسة الأمريكية منعها من تحقيق هذه المصالح، ومن الممكن تحديد اهم المصالح والاهداف الإيرانية المعلنة في العراق بعد تغيير النظام السياسي عام ٢٠٠٣، بأربعة نقاط وهي^(١) :

١. ضمان محافظة العراق على وحدة اراضيهِ وعلى أن لا يتفكك بوصفه دولة لها كيان مستقل.
 ٢. تجنب عدم الاستقرار لكي لا يمتد إليها.
 ٣. تشجيع ظهور دولة صديقة يهيمن عليها طرف موال لإيران وتثبيت أركان هذه الدولة.
 ٤. التحقق من ان الوجود الأمريكي في العراق لن يؤدي إلى العمل على تقويض الجمهورية الإسلامية في إيران.
- إلا ان الاهداف الحقيقية لجمهورية إيران على خلاف ذلك فهي تسعى الى :

^(١) هادي قيسي : السياسة الخارجية الأميركية " بين مدرستين: المحافظين الجدد والواقعية" الدار العربية للعلوم ناشرون.

بيروت ٢٠٠٨. ص ١٤٠.

^(٢) علي عبدالامير علاوي : احتلال العراق ربح الحرب وخسارة السلام. ترجمة عطا عبد الوهاب. المؤسسة

العربية للدراسات والنشر. بيروت ٢٠٠٩. ص ٥٨ .

١. السعي لإضعاف العراق لدرجة انه يبقى خاضعاً للجمهورية الإيرانية .
٢. إثارة الخلافات بين ابناء القوميات والطوائف العراقية وذلك لبقاء الحاجة الى وسيط خارجي تكون إيران أحد اقطابه والمملكة العربية السعودية القطب الاخر على غرار الوضع في لبنان وسوريا وباقي دول المنطقة التي تكون بحاجة دائمة للدول ذات القوة الاقليمية والدولية إضافة إلى اقطاب اخرى كتركيا اللاعب الاقليمي الجديد في منطقة الشرق الاوسط .
٣. عدم السماح بتجزئة العراق لضمان عدم قيام دولة كردية قوية في شمال العراق، حيث أنها قصفت مناطق شمال العراق في بحجة دخول بعض المعارضة الإيرانية إلى داخل الاراضي العراقية، حيث أكدت مصادر عراقية القصف المدفعي الإيراني على مناطق في شمال العراق في إطار استهداف عناصر حزب الحياة الحر بيجاك^(٢). علماً أن إيران كانت تدعم القوى والاحزاب الكردية عام ١٩٧٥، وهي الان من اشد المعارضين لهذا الاقليم، وذلك لعدم السماح لأكراد ايران بأعلان حكم ذاتي وهذا تعبير واضح عن الازدواجية الإيرانية في انتقاء المواقف الملائمة لمصالحها والاستفادة القصوى من المشاكل والخلافات الاقليمية وجعلها اوراقاً تلعب بها على المستوى الدولي.
٤. دعم العديد من القوى المسلحة داخل العراق، وذلك لضمان عدم الاستقرار داخل العراق ولضرب المصالح الامريكية من جهة، ولفرض الهيمنة الإيرانية على العراق مستقبلاً من جهة اخرى.
٥. كانت إيران حريصة كل الحرص على أنتهاج سياسة بالغة الدقة بالتعامل مع الولايات المتحدة الأمريكية من خلال التشجيع على مقاومة الوجود الأميركي في العراق بالقدر الذي يكفي فقط على أبقاء التهديد قائماً، لا سيما وأن النظام الديمقراطي الجديد في العراق هو تحت السيطرة للقوى الصديقة لإيران، مما جعل بعضهم يرى بأن الامر الواقع في العراق في السنوات الاولى للاحتلال هو

(٢) صحيفة الوفد : مصر، الاثنين ٥ / ٩ / ٢٠١١

دور أمريكي مهيمن وآخر إيراني متسلل شرعن لنفسه الكثير من صيغ التدخل المباشر وغير المباشر مما ألحق أضراراً أمنية وسياسية في الساحة العراقية^(١). كانت الولايات المتحدة الامريكية متعمدة عن قصد وسابق اصرار وتصميم، على تسليم منطقة الشرق الاوسط إلى إيران فقد سلمت افغانستان على طبق من فضة والعراق على طبق من ذهب، دون أي عناء من جانب إيران، وذلك لعدة اسباب استفادت منها الولايات المتحدة الامريكية :

١. شق الصف الاسلامي بإذكاء فتنة قديمة داخل الجسد الاسلامي.
 ٢. تقوية الصراعات بين دول الشرق الاوسط (إيران، تركيا، السعودية) واخراج العراق ومصر من هذه المعادلة والتأثير فيها، وتحييدهما إلى مدى غير قريب.
 ٣. تحقيق تقارب قوي وخفي بي إيران وما كانت تسميه بالشيطان الاكبر الولايات المتحدة الامريكية التي اصبحت بنظرها منذ احتلال العراق بالمالك الاكبر وتحقق هذا التقارب في عدة لقاءات .
 ٤. خلق عدو وهمي جديد في منطقة الخليج العربي، وذلك للبقاء في منطقة الخليج بحجة العدو الايراني وتهديده لدول مجلس التعاون الخليجي، وسحب الاموال والسيطرة على منابع النفط .
 ٥. خلق صراعات في دول المنطقة التي فيها أذرع لإيران مما يتيح للدول الكبرى التدخل في هذه المناطق.
- منذ احتلال العراق في ٢٠٠٣ بدأت الجمهورية الايرانية بأنتهاج سياسة اقليمية عبر دعم العديد من الاحزاب وحركات والتنظيمات في العراق وسوريا وفلسطين ولبنان ومصر ودول الخليج العربي، وهي تهدف للهيمنة الاقليمية على هذه الدول وفعلاً نجحت في العديد من هذه الدول بالهيمنة على القرار السياسي والامني في بعض هذه الدول .

(١) خالد محسن جابر إلعقوبي، السياسة الامريكية تجاه العراق وأنعكاساتها الاقليمية والدولية بعد نيسان

٢٠٠٣، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ٢٠١٣، ص ٣٧٨.

وعند التعمق في الملف الإيراني نجد أن قوى دولية دعمت هذا التوجه وتلك الأهداف بعيدة المدى، ذات توجه ديني طائفي (لشق الصف الاسلامي) ولإيجاد نوع من الفرقة والفتنة بين المسلمين، ودعمت إيران وكبرت من نفوذها وحجمها بأضعاف تتجاوز حقيقة الكيان الإيراني، كما فعلت مع نظام الرئيس صدام حسين في قضية المدفع العملاق وأن العراق يمتلك رابع جيش في العالم من حيث العدد والعتاد والتجهيزات والتدريبات، وذلك لتضخيم الخوف من قوة العراق وهو الأمر ذاته الذي تتبعه مع النظام الإيراني، إلى ان يأتي الوقت المناسب فتأخذه بكل قوة ومن دون رحمة لتدمر كل ما بناه خلال سنين طويلة من محاولات الهيمنة على دول المنطقة .

أما فيما يخص الملف النووي الإيراني فقد صدر في أغرب تصريح لمجلس الامن القومي في الولايات المتحدة الاميركية أنه (قد أخفي النظام الإيراني على مدى ٢٠ عاماً تقريباً العديد من جهوده النووية الرئيسية عن المجتمع الدولي. لكن النظام يواصل الادعاء بأنه لا يسعى إلى تطوير أسلحة نووية. من الواضح أن النوايا الحقيقية للنظام الإيراني يكشفها رفض النظام التفاوض بنية طيبة، ورفض الأمثال لواجباته الدولية عبر منح الوكالة الدولية للطاقة الذرية إمكانية الدخول إلى المواقع النووية وحل المشكلات المقلقة)^(١) . فهل من المعقول ان يخفي برنامج نووي على القوى الكبرى التي تحتكر هذا السلاح النووي ؟ .

٢. تركيا :

شهدت السنوات الأخيرة ترايد الاهتمام التركي في منطقة الشرق الأوسط وقضاياها، لاسيما بعد وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة في تركيا في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٢، وحرص قيادات الحكومة الجديدة على تأكيد تبنيهم رؤية مختلفة نوعياً لسياسة تركيا وعلاقاتها الخارجية في الدوائر المختلفة، وبخاصة في الدائرة الشرق الأوسطية وعزز من هذا الاهتمام ما شهدته عناصر القوة التركية من

(١) سكوت ريتز، استهداف إيران، ترجمة أمين الأيوبي، الدار العربية للعلوم- ناشرون، بيروت ٢٠٠٧، ص

تطورات إيجابية في خلال هذه الفترة، لاسيما في أبعادها الاقتصادية، حيث نجحت تركيا في احتلال المرتبة الأولى بين اقتصادات المنطقة (والسادسة عشرة على المستوى العالمي) من حيث حجم الناتج المحلي الإجمالي، وصاحب ذلك زيادة حضور الدور التركي ونشاطه في العديد من القضايا المحورية في المنطقة، سواء فيما يتعلق بالقضية العراقية، أو الصراع العربي - الإسرائيلي بمساراته المتعددة، أو أزمة البرنامج النووي الإيراني، أو طرح تركيا كنموذج في قضايا الإصلاح في المنطقة بأبعاده المختلفة، وغيرها من القضايا^(١).

وقد أثار الدور التركي النشاط بأبعاده المتعددة الجدل حول طبيعته وحقيقة الدوافع المحركة له بين اتجاهات تبرز الطابع البراجماتي للسياسة التركية وتركيزها على تحقيق المصالح الوطنية، وفقا لحسابات قصيرة الأمد، وأخرى تؤكد تحول السياسة الخارجية نحو الشرق في إطار استعادة تركيا ذاتها الحضارية الإسلامية تحت قيادة حزب ذي مرجعية إسلامية، وثالثة تؤكد استمرار التوجه الغربي لتركيا وأدوارها بالوكالة في المنطقة مع ارتباط نشاط تركيا بمساعيها لزيادة أهميتها الاستراتيجية لتعزيز فرص انضمامها للاتحاد الأوروبي، وفي مقابل ذلك، تزايدت تدريجيا مساحة أنصار الخطاب التركي الرسمي لحكومة العدالة من ترشيد السياسة التركية في عهدهم برؤية جديدة، ترى تكاملاً لا تعارضاً بين الهويات والتوجهات المتعددة للسياسة التركية^(٢). وتتمثل عناصر التوجه التركي الجديد في^(٣):

- ضرورة تنشيط الدور التركي في المنطقة بما يتجاوز حدودها المباشرة.

(١) بولت أراس وبنار أكينار: السياسة الخارجية الجديدة لتركيا وانعكاساتها على الشرق الأوسط. مركز الشرق للدراسات الإقليمية والاستراتيجية. ٢٠١٠، ص ٢٢.

(٢) ميشال نوفل: عودة تركيا إلى الشرق "الاتجاهات الجديدة للسياسة التركية"، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ٢٠١٠، ص ٩٤.

(٣) أحمد داود أوغلو: العمق الاستراتيجي. "موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية". ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل. مركز الجزيرة للدراسات والدار العربية للنشر. الدوحة ٢٠١٠. ص ٦٠٥-٤٤٦.

- تغليب الحوار السياسي والمبادرات الدبلوماسية في معالجة الأزمات، ورفض سياسات الحصار والعزل، وتشجيع سياسات الانخراط الإيجابي.
- الاهتمام بالمدخل الاقتصادي لمعالجة الخلافات، وتعزيز الاعتماد المتبادل بين اقتصادات المنطقة.
- ضرورة الحفاظ على وحدة الكيانات القائمة وطابعها المتعدد في إطار تعزيز التعايش الثقافي.
- أهمية التنسيق الأمني ورفض سياسات المحاور وتأكيد مفهوم الأمن للجميع، مع عدم استبعاد إمكانية استخدام القوة العسكرية، لكن في إطار التوظيف الذكي لعناصر القوة التركية.

وحسدت هذه الرؤية جنباً إلى جنب مع الأدوار التركية الفعلية تجاه قضايا المنطقة محاولة حكومة العدالة الالتزام بنهج توفيقي توازني على كافة المستويات الداخلية والإقليمية والدولية، بين التركيز على المصالح الوطنية التركية (الأمنية والاقتصادية والسياسية) من جهة، وإعادة صياغتها وتقديمها في إطار يوفق بين هذه المصالح ومصالح القوى الإقليمية المتعددة من جهة أخرى، وبين السعي لزيادة استقلالية الرؤية التركية كدولة إقليمية لها مصالحها المحددة ذاتياً بشكل مستقل عن التبعية لارتباطاتها الغربية من ناحية، وتجنب الصدام المباشر مع رؤى ومصالح وترتيبات الولايات المتحدة والقوى الكبرى في المنطقة من ناحية أخرى.

إلا أن الدور التركي واجهته العديد من الصعوبات، من أهمها: حدود القدرات الذاتية وصعوبة الحفاظ على الصياغات والمعادلات التوازنية على كافة المستويات الداخلية والإقليمية والدولية بشكل متزامن، واعتماد العديد من هذه الصياغات التوفيقية على تعاون الفاعلين المؤثرين على المستويات كافة. ومثلت الثورات العربية مناسبة جديدة لإعادة استحضار هذه الإشكاليات والجدالات المحيطة بالدور التركي.

ثمة ثلاث سياسات متباينة يمكن لتركيا انتهاجها تجاه الشرق الاوسط من وجهة نظر احمد داوود اوغلو صانع السياسة الخارجية التركية في حكومة العدالة والتنمية^(١).

١. الاولى هي الابتعاد التام عن الشرق الاوسط ومشكلاته.
٢. الثانية هي تطوير سياسات متناغمة مع سياسات معسكر دولي ما كسياستها في خلال الحرب الباردة انطلاقاً من تجنب تحمل مخاطر المبادرة منفردة في المنطقة.
٣. اما السياسة الثالثة فتقوم على النظر الى الشرق الاوسط عبر مقاربة تركية خالصة مركزها انقرة وان بدت السياستان الاولى والثانية مقبولتين من الناحية النظرية إلا أنهما تفتقران إلى فرص التطبيق على ارض الواقع حالياً فتركيا قد اضحت دولة وطنية قوية ومرت بخبرات في الإدارة الديمقراطية وتمتلك الآن جيشاً قوياً لا يستهان به، اضيف إلى ذلك أن تركيا بما تمتلكه من تجربة تاريخية ونسيج اجتماعي ثري وامتدادات جغرافية طبيعية تعتبر نموذجاً مصغراً للبلقان ونموذجاً مصغراً للقوقاز ونموذجاً مصغراً للشرق الاوسط كل ذلك في ان واحد وهو ما يدعونا إلى التساؤل عن السبب وراء لجوء الفارين من حروب البوسنة وكوسوفو نحو ادرنة في تركيا التي لا تربطها أي حدود معهم وعدم توجيههم إلى برلين، ولماذا تهتم تركيا بكل مشكلة تقع في القوقاز، ولماذا يمثل انقسام العراق مشكلة خطيرة بالنسبة الى تركيا، يتعلق ذلك كله بان ارتباط تركيا بهذه المناطق الثلاث يشبه ارتباط الظفر باللحم وهو ما يعد دليلاً على عمق وتداخل الروابط التاريخية والجغرافية بين تركيا وهذه المناطق والحقيقة انه إن لم توجه تركيا هذه المناطق الثلاث فإن اطرافاً اخرى ستوجهها لصالحها وستكون الاناضول هي المتضررة في النهاية حتى وان لم يلحق الضرر بالاناضول بشكل مباشر اليوم فسيلحق بها غداً لقد حان اوان اقرار السلام في هذه المناطق لان بقاء تركيا كدولة ووطن وامة مرهون بالاوضاع السياسية والاجتماعية في هذه المناطق وبما يمكن لتركيا ان تقوم به من دور نشط فعال فيها.

(١) المرجع السابق : ص ٦١٩.

في ضوء هذه الحقائق والمعطيات الجغرافية والتاريخية تتبنى تركيا اربعة مبادئ اساسية في سياساتها تجاه الشرق الاوسط^(١).

١. المبدأ الاول : هو احلال الامن وكفالاته لكل شخص دون تمييز بين مجموعة واخرى ودولة واخرى.

٢. المبدأ الثاني : هو الارتقاء بمستوى الحوار السياسي الى اعلى درجة وهو الهدف الذي يتم تحقيقه في ضوء قيام كل من رئيس الجمهورية التركي ورئيس وزرائها ووزير خارجيتها بزيارات مستمرة مكثفه داخل الشرق الاوسط وقد جعلت هذه العلاقات الطيبة المتبادلة مع دول المنطقة من تركيا قناة الاتصال الاكثر ثقة بين الدول والشعوب والتنظيمات غير الحكومية على حد سواء ويمثل حوار تركيا الاستراتيجي مع مجلس التعاون الخليجي وجامعة الدول العربية انعكاسا اخر لهذه الثقة حيث تعززت العلاقات الى درجة غير مسبوقة في تاريخ العلاقات التركية العربية وقد قوبلت دبلوماسية تركيا البناءة والصادقة في الشرق الاوسط بترحيب وتقدير من دول المنطقة وشعوبها ولم يؤد هذا الوضع الى اتساع ساحة التأثير التركي داخل الشرق الاوسط وحسب وإنما ادى الى امتداده نحو منطقة افرواسيا ايضا ومن ابرز الامثلة على ذلك تنظيم تركيا ومصر معا لاجتماع اعادة بناء دارفور الذي عقد في القاهرة في ٢١ مارس/ اذار ٢٠١٠.

٣. المبدأ الثالث : فهو الترابط الاقتصادي المتبادل الذي من شأنه ان يحقق التكامل الاقتصادي بين دول المنطقة وتؤمن تركيا بان التكامل الاقتصادي يعد ركيزة وشرطاً اساسياً لإحلال السلام في المنطقة ولذا فقد بادرت الى سلسلة من المشروعات الاقتصادية مع دول المنطقة ووقعت عددا من اتفاقيات التجارة الحرة مع العراق وسوريا ومصر والاردن.

٤. المبدأ الرابع : الذي يواجه سياسات تركيا في الشرق الاوسط هو التعددية الثقافية اذ ترى تركيا ان الحفاظ على التعددية العرقية والمذهبية شرط اولي لاستقرار المنطقة وان

(١) المرجع السابق : ص ٦٢٠ .

التاريخ شاهد على ان مدن الشرق الاوسط لم تعرف على امتداد تاريخها صدامات مذهبية او عرقية.

ان الشرق الاوسط الذي تتصوره تركيا يمثل منطقة تتمتع بالمزيد من الامن والسلام وتفعيل العلاقات الاقتصادية والتجارية بين دوله وفي ظل هذا التصور تقسم تركيا علاقاتها مع الشرق الاوسط إلى أربعة نطاقات جغرافية : دول الجوار مثل العراق وسوريا والاردن ولبنان ومصر، ودول مجلس التعاون الخليجي ودول شمال افريقيا . وقد اصبح لتركيا دور كبير في الازمة السورية من دعم للمعارضة السورية وايواء العديد من اللاجئين، إضافة الى انها تتبنى موقفاً معارضاً للتوجه الإيراني في الشرق الاوسط مما خلق حالة من الصراع داخل هذه المنطقة .

سادساً _ القوى ذات النفوذ الكبير في الشرق الأوسط :

كانت منطقة الشرق الأوسط منذ اكثر من قرن ولا تزال ساحة لاختراقات وصراعات خارجية، حيث تتفاوت القوى الدولية في قوتها وطرق تواجدتها في الشرق الأوسط.

إن للولايات المتحدة وجوداً قوياً في منطقة الشرق الاوسط، مع أدوار متنامية لكل من الصين وروسيا وأوروبا والهند، وسوف نستعرض بشيء من الإيجاز الادوار المستقبلية لهذه القوى في الشرق الأوسط.

ابتداءً من الدور الأميركي، فعلى رغم أن القوة الأميركية في الشرق الأوسط مأزومة، إلا أن الولايات المتحدة لن تتخلى عما تعتبره مصالحها الاقتصادية والسياسية والأمنية في المنطقة في المستقبل المنظور، فهي ترى أن لديها مصالح إستراتيجية في المنطقة، وبالتالي ستواصل رصد رأس مال سياسي وعسكري كبير لحماية هذه المصالح.

الطاقة هي المصلحة الأميركية الأولى، فالمنطقة تحوي الجزء الأكبر من احتياطات النفط والغاز في العالم، وتريد الولايات المتحدة ضمان التحكم بتدفق هذه الموارد تحت اشرافها الى الأسواق العالمية، كما تريد أن تتأكد من أن أي قوة أخرى

إقليمية أو عالمية لن تتمكن من التحكم بهذا التدفق، وسعيًا منها إلى تحقيق هذه الغاية، ستحافظ الولايات المتحدة على وجودها العسكري في الخليج العربي، وكذلك على تحالفاتها العسكرية مع العديد من دول الخليج العربية، إلى أجل غير مسمى. بالإضافة إلى الطاقة هناك إسرائيل، الدولة التي تلتزم الولايات المتحدة الدفاع عنها إلى ما لا نهاية، والتي من المرجح أن تظل مُطَوَّقة ومُحصرة في العقود المقبلة، وهذا الالتزام سيتطلب استمرار الانخراط العسكري والسياسي في المنطقة للحفاظ على أمن الدولة العبرية^(١).

العامل الثالث هو تهديد الإرهاب والتطرف الذي حددته الولايات المتحدة على أنه يشكل خطراً رئيساً على أمنها القومي، والوقوف في وجه هذا التهديد سيتطلب استمرار الدعم السياسي والعسكري للعديد من الدول في العالمين العربي والإسلامي، وتعاوناً أمنياً واستخباراتياً وثيقاً معها، وحرصاً إزاء عملية الانتقال الديمقراطي في العالم العربي التي قد تضع الأحزاب الإسلامية في مقاعد السلطة، وحتى في الوقت الذي تتضاءل فيه مواردها، وبعد انسحابها الجزئي من العراق، فإن الولايات المتحدة ستجد صعوبة بالغة في الحد بشكل ملحوظ من انخراطها السياسي والعسكري في الشرق الأوسط.

القوى العالمية الأخرى - أوروبا وروسيا والصين والهند - لها أدوار متنامية في المنطقة، لكن أيًا منها لا تريد أو لا تستطيع أن تتحدى أو تُعطل في شكل كلي أو مباشر الدور الأميركي في المنطقة، فهذه القوى الأربع كلها تخشى التطرف الإسلامي، كما أن ثلاثاً منها تعتمد اعتماداً كبيراً على تدفق الطاقة من المنطقة، لكنها كلها لا تملك الموارد أو لا ترغب في إنفاق مواردها - للاضطلاع بأدوار أمنية وسياسية تقوم بها الولايات المتحدة في الوقت الحاضر، إنها اجمالاً تستفيد من دور أميركا في مجالي الأمن والطاقة في المنطقة، وتسعى فقط إلى حصد الفوائد التي أمكنها ذلك.

(١) هنري كيسنجر، هل نحتاج أميركا إلى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية جديدة للقرن الحادي والعشرين، دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠٠٣، ص ١٦٣.

أوروبا جارة مزدهرة (ولكن هزمة ديموغرافياً) لمنطقة الشرق الأوسط، إنها تعتمد على تدفق النفط من المنطقة، وتحرص على تعزيز صادرات الغاز منها لإضعاف قبضة روسيا الخائفة على إمدادات الغاز إليها، وهي تستفيد من وجود أميركا في الشرق الأوسط، وتريد بناء نظام نقل نفط وغاز عبر تركيا وشرق البحر الأبيض المتوسط، كما أنها تشاطر الولايات المتحدة الخوف من التطرف الإسلامي، وقد قلّدت أوروبا المقاربة الأميركية للمشكلة، من حيث التركيز على النهجين الأمني والاستخباراتي^(١).

تاريخياً، كان الاتحاد السوفياتي هو المُتحدّي الرئيس لأميركا في الشرق الأوسط، وهو نجح في مقارعة القوة الأميركية في المنطقة في ذروة الحرب الباردة، بيد أن قدرات روسيا وطموحاتها اليوم أكثر محدودية^(٢). فقوة موسكو تبددت تقريباً من الشرق الأوسط في خلال حقبة التسعينيات، وقد أعاد فلاديمير بوتين روسيا إلى الشرق الأوسط في مطلع القرن الحادي والعشرين من خلال التعاون مع معظم الدول الرئيسة في المنطقة، فجدد الدعم العسكري لسورية، حليف موسكو القديم، لكنه بنى أيضاً شبكة واسعة من العلاقات مع إيران وتركيا وإسرائيل والمملكة العربية السعودية وقطر ومصر، وتسعى روسيا الآن إلى إعادة بناء نفوذها في الشرق الأوسط من خلال كل من صناعتها العسكرية، وثقلها السياسي والدبلوماسي العالمي، ووزنها في أسواق النفط والغاز العالمية، ومع ذلك، ليس لديها لا الطموح ولا القدرة الكافية على تحدي الوجود الأميركي هناك، فهي تُركّز بدلاً من ذلك على ترسيخ هيمنتها على منطقة القوقاز ومنطقة آسيا الوسطى، وتشاطر روسيا الولايات المتحدة الخوف من التطرف الإسلامي، وتخشى زعزعة الاستقرار في الشرق الأوسط، مما قد يؤدي إلى تفاقم الراديكالية الإسلامية وإلى تسهيل تمددها بين جيران روسيا الجنوبيين وبين المسلمين

(١) للزبد من المعلومات بنظر في : صدام مرير الجميلي، الاتحاد الاوروبي ودوره في النظام العالمي الجديد، دار المنهل اللبناني، بيروت ٢٠٠٩، ص ٨٩.

(٢) ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الاوسط وشمال افريقيا من بطرس الاكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ٢٠١٣، ص ٣٨.

الروس، وما لم تنم القوة الروسية باطراد، وهو الأمر غير المرجح نظراً إلى الواقع السياسي والاقتصادي الراكد في البلاد، فإن طموحات موسكو ستظل محدودة^(١).

اما في ما يتعلق بالهند فهذه الدولة الكبرى الصاعدة تحصل على ثلثي احتياجاتها من الطاقة من منطقة الشرق الأوسط، وتحني تحويلات مالية قيمة من مئات الآلاف من الهنود الذين يعملون ويمارسون أنشطة تجارية في دول الخليج، ولذا فهي غير قادرة على تحمّل نشوب صراع أو اضطراب في منطقة الخليج، هذا إضافة إلى أنها تُشاطر الولايات المتحدة الخوف من التطرف الإسلامي، وتعتبر نفسها حليفاً للولايات المتحدة في هذا الصراع، وتقتصر طموحات الهند على الهيمنة في شبه القارة الهندية، وليس لها الطموح أو القدرة على تحدي الولايات المتحدة في الشرق الأوسط^(٢).

أما الصين فتكتسب نفوذاً متزايداً في منطقة الشرق الأوسط، وهي تاريخياً، وبوصفها قوة شيوعية، دعمت حركات التحرر في المنطقة، لكن نفوذها كان أقل بكثير من نفوذ موسكو، أما الآن، وكقوة رأسمالية ضخمة، فقد تفوّقت الصين على روسيا كثيراً، وهي تلحق بركب الولايات المتحدة على صعيد النفوذ الاقتصادي، وتعتمد الصين بشدة على تأمين ما يمكنها من مصادر النفط والغاز لضمان استمرار نموها الاقتصادي المستقبلي، ولهذا الغرض نجحت في بناء علاقات مع جميع منتجي النفط والغاز في الشرق الأوسط، من المملكة العربية السعودية إلى إيران وقطر والسودان واليمن لتأمين أكبر قدر ممكن من الطاقة، وتمتنع الصين عن إغلاق أي من هذه المصادر لإرضاء المطالب الأميركية - مثلاً تلك المتعلقة بعزل إيران واحتوائها، كما انها بنت علاقات متميزة مع إسرائيل في مجال التكنولوجيا العسكرية، إذ لم يعد لدى الصين خط سياسي أو إيديولوجي تطرحه في المنطقة وهي تسعى إلى إقامة علاقات طيبة مع كل البلدان التي يمكنها الحصول منها على منفعة اقتصادية أو تقنية، صحيح

(١) المرجع السابق، ص ٢٧٤.

(٢) صحيفة الشرق الأوسط : ٩-١٢-٢٠١٧.

أن بعض الخوف من التطرف الإسلامي (الذي أثار اضطرابات في مقاطعاتها الغربية) يعتمد في صدر الصين، إلا أن هذا لا يصل إلى درجة تجعلها تدعم عملاً عسكرياً أو عقوبات قوية ضد إيران أو أي دولة أخرى في المنطقة، وفي المستقبل المنظور، ستواصل الصين التركيز على النمو الاقتصادي وتفيد من دور أميركا العالمي للحفاظ على التجارة العالمية والاستقرار^(١).

أما الولايات المتحدة الأميركية، في المتحكم البارز في منطقة الشرق الأوسط، وأغلب الرؤساء كانوا على اهتمام رئيسي في هذه المنطقة، وفي هذا الشأن رسم مجلس العلاقات الخارجية في البيت الأبيض بعض الخطوط الرئيسية للرئيس أوباما، لتحديد أهم المرتكزات التي يسير عليها في منطقة الشرق الأوسط في عام ٢٠٠٩، وقد سار على نهجها في مراحل ولايته الأولى والثانية^(٢).

والخلاصة : ان الولايات المتحدة ستبقى المتدخل الخارجي الرئيس في منطقة الشرق الأوسط في السنوات القادمة من دون تحد كبير او مباشر من قوى صاعدة أخرى، على رغم تحوّل الثقل الاقتصادي العالمي تدريجاً من الغرب الى الشرق.
المطلب الثالث: الثورات العربية ٢٠١١ (ثورات الربيع العربي)*

وهي حركات احتجاجية سلمية ضخمة انطلقت في بعض البلدان العربية أواخر عام ٢٠١٠ ومطلع ٢٠١١، متأثرة بالثورة التونسية التي اندلعت جراء إحراق

(١) زبغنيو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى، الاهلية للنشر والتوزيع، ترجمة : امل الشرقي، عمان ٢٠٠٧، ص ١٩٦-٢١٣.

(٢) مجموعة من الباحثين، استعادة التوازن "استراتيجية للشرق الأوسط برسم الرئيس الجديد". بعض الباحثين من مجلس العلاقات الخارجية. ومركز صبان لسياسات الشرق الأوسط بمعهد بروكنغز، دار الكتاب العربي، ترجمة: سامي الكعكي، بيروت ٢٠٠٩، ص ٢٥٨.

* إن الأحداث والأحتجاجات والمتغيرات التي حدثت وتحدثت في العالم العربي وقد بدأت هذه الاحداث منذ ٢٠١١ ولغاية يومنا هذا، وبات مايعرف (بالربيع العربي)، أو ما أسميه بالخريف العربي لسقوط الدكتاتوريات التي دامت عشرات السنين. ينظر في : على سعيد، مفهوم "الربيع العربي" حقيقة أم وهم؟ انظر الى هذا الرابط:

<http://algerrep.com/spip.php?article22>

الشاب محمد البوعزيزي* نفسه ونجحت في الإطاحة بالرئيس السابق زين العابدين بن علي، وكان من أسبابها الأساسية انتشار الفساد والركود الاقتصادي وسوء الأحوال المعيشية، إضافة إلى التضييق السياسي والأمني وعدم نزاهة الانتخابات في معظم البلاد العربية. ولا زالت هذه الحركة مستمرة حتى هذه اللحظة، نجحت الثورات بالإطاحة بأربعة أنظمة حتى الآن فبعد الثورة التونسية نجحت ثورة ٢٥ كانون الثاني/يناير المصرية بإسقاط الرئيس السابق محمد حسني مبارك، ثم ثورة ١٧ شباط/فبراير الليبية التي أدت إلى قتل معمر القذافي وإسقاط نظامه، فالثورة اليمنية التي أجبرت علي عبد الله صالح على التنحي، وأما الحركات الاحتجاجية فقد بلغت جميع أنحاء الوطن العربي، وكانت أكبرها حركة الاحتجاجات في سوريا، لقد تميزت هذه الثورات بظهور هتاف عربي أصبح شهيراً في كل الدول العربية وهو "الشعب يريد إسقاط النظام"^(١).

وإثر نجاح هذه الثورات بإسقاط الأنظمة بدأت الاحتجاجات السلمية المطالبة بإنهاء الفساد وتحسين الأوضاع المعيشية بل وأحياناً إسقاط الأنظمة بالانتشار سريعاً في أنحاء الوطن العربي الأخرى.

إن الأحداث والاحتجاجات التي حدثت وتحدث في العالم العربي ويات مايعرف (بالربيع العربي)، أو ما أسميه بالخريف العربي لسقوط الدكتاتوريات التي دامت عشرات السنين :

١. فقد حكم الرئيس التونسي السابق زين العابدين بن علي ربع قرن امتد حكمه منذ ٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٧ إلى ١٤ كانون الثاني/يناير ٢٠١١، وهو

* الثورة التونسية : اندلعت يوم الجمعة ١٨ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٠ تضامناً مع الشاب محمد البوعزيزي الذي توفي يوم الثلاثاء الموافق ٤ كانون الثاني/يناير ٢٠١١ نتيجة الحروق أدى ذلك إلى اندلاع شرارة المظاهرات في يوم 18 كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٠ وخروج الاف التونسيين الرافضين لما اعتبروه أوضاع البطالة وعدم وجود العدالة الاجتماعية وتفاقم الفساد داخل النظام الحاكم.

(١) تقرير الامم المتحدة: العالم العربي الاول في التخلف، انظر الى هذا الرابط

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=2451>

الرئيس الثاني لتونس منذ استقلالها عن فرنسا عام ١٩٥٦ بعد الحبيب بورقيبة بعد انقلاب دبره لهذه الغاية .

٢. الرئيس المصري السابق محمد حسني مبارك الذي حكم منذ ١٤ تشرين الاول/أكتوبر ١٩٨١، حتى تنحي في ١١ شباط/ فبراير ٢٠١١ والذي تجاوزت فترة حكمه الثلاثين عاماً.

٣. الرئيس الليبي السابق معمر القذافي الذي حكم منذ العام ١٩٦٩ ولغاية ٢٠ تشرين الاول/أكتوبر ٢٠١١ وتجاوزت فترة حكمه أثنان واربعون عاماً،

٤. الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح فقد كان الرئيس السادس للجمهورية العربية اليمنية من ١٩٧٨ حتى ١٩٩٠ ليصبح أول رئيس للجمهورية اليمنية . تعد فترة حكمه أطول فترة حكم لرئيس في اليمن منذ العام ١٩٧٨ وحتى تسليمه للسلطة في ٢٥ شباط/فبراير ٢٠١٢ وهو بذلك حكم البلاد لأربعة وثلاثون عاماً.

فأي أنجاز حققوه خلال هذه الفترة لشعوبهم وهذه الثورات يمكن أن نصفها بالبداية لمنعطف سياسي جديد ستشهده المنطقة في الأعوام القريبة. هذه الأحداث لا تجري دون مسوغات إجتماعية وسياسية واقتصادية داخلياً وخارجياً ولا تجري بمعزل عن بعضها البعض بل هناك تأثيرات لكل منها على آخر علاوة على بعض التأثيرات الخارجية الجانبية التي لها دور على مجريات الأحداث.

أحداث (الربيع العربي) وما تلاه من الأحداث برزت في منطقة جغرافية معينة، وهذه المنطقة هي من أكثر مناطق العالم سخونة منذ الحرب العالمية الأولى وحتى يومنا هذا بسبب امتلاكها للثروة النفطية الهائلة وصراع القوى الكبرى للهيمنة عليها وبالتالي الحصول على النفط كمصدر رئيس للطاقة وتحريك الاقتصاد، وهناك سبب آخر أثر على عدم استقرار الشرق الأوسط الا وهو الدين، فغالبية سكان المنطقة تدين بالدين الإسلامي، إذ يمثل الإسلام الطاقة الروحية لدول المنطقة في علاقاتها مع الآخرين له أثر كبير في تضخيم مشاكل المنطقة وخاصة في مسألة الصراع العربي

الإسرائيلي . وهناك مرشحون آخرون للأطاحة بهم في هذه الأحداث وعلى رأسهم بشار الأسد في سوريا.

سئل الباحث والمفكر المصري الدكتور سمير أمين هل يمكن أن نطلق على ما يجري في مصر مصطلح الثورة؟ أجاب إن ٢٥ كانون الثاني /يناير أكبر من انتفاضة، وأقل من ثورة، إنها خطوة ثورية. وقد تعددت المسميات التي استخدمت لوصف هذه الأحداث والتطورات الجارية، ولكن لا واحدة من تلك المسميات تنطبق بنفس الدقة على جميع الانتفاضات العربية بالنظر إلى تباينها واختلاف طبيعتها من بلد إلى آخر ومن ثم صعوبة إدراجها تحت يافطة واحدة، وذلك رغم الحقيقة التي لا مراء فيها وهي أن الثورات العربية تشترك في أسباب عميقة مؤدية لاندلاعها ومتمثلة في إحباط بعض الشعوب بسبب غياب الديمقراطية وحرمانها من حقوقها الأساسية ومن حرياتها الفردية، بالإضافة إلى تدهور الظروف المعيشية وتنامي الفساد وانعدام العدل الاجتماعي^(١).

إن هذا المصطلح الغير مجمع عليه يدل على أن الدول العربية التي شملت بالتغير، قد انتقلت من وضع أسود إلى وضع جديد سمي "بالربيع العربي"، تيمنا بمضمونه المشرق، وهكذا تنتقل البلدان العربية بعد مخاض عسير حسب أنصار هذا التحليل، من الفصل النقيض وهو الشتاء أو الخريف أو الصيف إلى الفصل المشرق وهو الربيع بكل ما يعنيه ذلك من خير واستقرار ورفاهية وحياة كريمة وحرية ومساواة، هذا ما يردده أنصار الربيع العربي، ومن المؤكد ان لهذه الاحداث اسباباً داخلية واسباباً خارجية وهي على الشكل التالي :

أولاً _ الأسباب الداخلية:

لقد تنوعت هذه الاسباب ما بين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وهي على الشكل التالي:

١. الأسباب الاجتماعية والاقتصادية :

(١) عادل الصفتي، الربيع العربي ماذا يعني؟ ، انظر الى هذا الرابط:

<http://www.alarabiya.net/views/2011/08/05/160884.html>

يعيش معظم سكان منطقة الشرق الأوسط في ظل نظام اجتماعي متخلف يعتمد على علاقات القرابة و نواتها الأساسية هي القبيلة التي يتحرك بدافع العرف والعادات والتقاليد القديمة. وللخرافات الدينية أيضاً دور محوري في تأصيل هذا النظام المتخلف ويلاحظ المفكر المصري السيد ياسين هذا الأمر ويقول " تنتشر لدينا الخرافة بشكل كبير فانظر إلى السوق العربية للأدب ستجد أنه مليء بكتابات تحمل الخرافة ولا علاقة لها بالدين في شيء وتنسب له دون وجه حق وهذا ما يتسبب في ضياع واحدة من أهم شروط الحداثة وهي العقلانية". كشف التقرير العام للأمم المتحدة للتنمية الانسانية لعام ٢٠٠٢، بأن العالم العربي الذي يضم ٢٨٠ مليون نسمة يعاني من التخلف بكل ما يتعلق بالتنمية الانسانية، قياساً لدول العالم الاخرى^(١).

معظم دول الشرق الأوسط تعاني من التخلف الاقتصادي خاصة الدول العربية، فالكثير منها يعتمد على واردات النفط كمورد اقتصادي وحيد، بينما دول اخرى تعتمد على السياحة والمعونات الخارجية.

ولعل من ابرز الصعوبات التي تواجهها عملية التنمية هي :

- أ- ارتفاع معدل تزايد السكان في الدول العربية.
- ب- النقص في الكوادر الوطنية.
- ت- التبعية الخرجية .
- ث- التفاوت في مستوى التطور الاقتصادي الاجتماعي.
- ج- انخفاض مستوى الادخار وتراكم رأس المال.
- ح- التجزئة وإعاقة التنمية في الوطن العربي .

اضافة الى تلك العوامل التي تعيق التنمية فقد كانت ولا تزال سياسة الحكومات النفطية وغير النفطية عاملاً أكثر تأثيراً في هذا المجال لأن كثيراً من المسؤولين

(١) تقرير الامم المتحدة: العالم العربي الاول في التخلف، انظر الى هذا الرابط:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=2451>

يستخدمون اموال بلدانهم في تقوية سلطتهم السياسية عن طريق شراء الدمم و تشكيل قوات الشبه العسكرية للمحافظة على حكمهم. كذلك في مجال التسلح بذرائع أمنية واهية منها الخطر الآتي من دول الجوار خاصة من إسرائيل و إيران.

حقل التربية والتعليم في دول الشرق الأوسط فيما عدا إسرائيل و تركيا في حالة مزرية وسيئة جداً، فإن السياسة التربوية والتعليمية في تلك البلدان تسير بالشكل التقليدي في تلقين الطلاب وعدم المجال واعطاء الفرصة للطلاب للبحث والابداع الفكري، فإن الواقع التربوي العربي، لا يعمل على تنمية الملكات الذاتية لدى الأجيال. فالتلميذ يتعلم، في مؤسساتنا التعليمية، كيف يكون له "مثل أعلى" وهذا جيد، وهو أمر لا اعتراض عليه، ولكن لا ينبغي المبالغة في هذا وصولاً الى المستوى الذي لا ينتج لنا سوى أجيال "اتباعية" وأفواجاً من "الإمعات"، على المؤسسات التعليمية ان تحاول ان تترك للتلميذ الفرصة او الخيار ليجعل من نفسه هو مثلاً أعلى"، التلقين الذي يلغي العقل، ويرسخ الإرهاب الفكري، ويعزل المتعلم عن الإطار الكلي لواقعه وبالتالي يعيق قدرته على المشاركة في التنمية، فالجامعات والمعاهد في بلدان الشرق الأوسط خاصة في البلدان العربية ليست لديها اي اهتمام يذكر بالأبحاث العلمية، ولا يمكن تصور تنمية وتقدم اجتماعي واقتصادي حقيقي دون الأبحاث العلمية الجدية حول دراسة الواقع للدولة ومتطلباتها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية الملحة.^(١)

إن الحديث عن أزمة البحث العلمي في الوطن العربي يعني بكل تأكيد الحديث عن أسباب التخلف العربي عن ركب الحضارة والنهضة العلمية المتلاحقة في دول العالم المتحضر إن واقع البحث العلمي في العالم العربي لا يحتاج إلى تشخيص فوق تشخيص بات واضحاً لكل المراقبين، فالمسؤولية خرجت من الأيدي فقد قدمت الحلول الكثيرة من أجل النهوض بالبحث العلمي العربي وبقي دور صناع القرار في تنفيذ هذه الحلول على أرض الواقع .

^(١) فهد العرابي الحارثي، المعرفة قوة والحرية أيضاً، الدار العربية للعلوم الناشرون، بيروت ٢٠١٠، ص ٤٠.

٢. الأسباب السياسية :

إن معظم بلدان الشرق الأوسط هي ذات نظم تسلطية واستبدادية، وكثير من تلك الأنظمة تقع ضمن جغرافية العالم العربي، عندما نسلط الضوء على الأوضاع السياسية في الدول التي تم تغيير النظم السياسية الاستبدادية فيها، في إطار أحداث الربيع العربي من خلال دراسة التعددية السياسية وتداول السلطة والمشاركة والحريات السياسية وحرية الصحافة والإعلام، وهي على الشكل التالي :

أ- التعددية السياسية وتداول السلطة: مسألة تداول السلطة لم تكن موجودة في مصر منذ مجيء الرئيس مبارك الى سدة الحكم في عام ١٩٨١ بعد اغتيال الرئيس انور السادات وفي ليبيا منذ وصول العقيد معمر القذافي الى الحكم إثر انقلابه على الملك إدريس الأول السنوسي في عام ١٩٦٩، وكذلك في تونس منذ تولي زين العابدين بن علي السلطة في انقلاب غير دموي على الرئيس الحبيب بورقيبة في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٧ .

كل من هؤلاء الحكام يحكمون البلد بقبضة من الحديد لم يكن فيها مكان للمعارضة الحقيقية والأحزاب السياسية سوى للذين يدورون في فلكهم. وفي ليبيا لم يكن هناك اي حزب سياسي سواء كان في السلطة أو في المعارضة والعقيد القذافي لديه قول مشهور بصدد الحزب السياسي "من تحزب خان"^(١).

ب- الحريات السياسية وحرية الصحافة والإعلام: الحريات بجميع اشكالها و انواعها هي تحت تهديد الحكم السلطوي في منطقة الشرق الأوسط، وحتى في تركيا ولبنان اللتين تمتازان باحترام الحريات يتعرض البعض الى الاعتقال والسجون وحتى الاغتيال، إن وضع الحريات في جميع انحاء الشرق الأوسط في حالة سيئة، خاصة في البلدان العربية، فمثلاً قبل حدوث ثورة ١٧ شباط/فبراير ٢٠١١ في ليبيا هناك الآف من المواطنين الليبيين كانوا قابعين في السجون بسبب آرائهم ومواقفهم المخالفة للنظام، ومجزرة سجن بوسليم في يوم ٢٩ حزيران ١٩٩٦ عندما داهمت قوات خاصة

(١) للمزيد من المعلومات ينظر في: <http://www.alhiwar.net/ShowNews.php?Tnd=:21320>

السجناء، تعد إحدى أكبر المجازر الجماعية التي ارتكبتها نظام العقيد معمر القذافي في ليبيا، حيث راح ضحيتها نحو ١٢٠٠ معتقل معظمهم من سجناء الرأي.

ومن جانب آخر عبرت اللجنة المناهضة للتعذيب التابعة للأمم المتحدة في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٨، في تقريرها عن تونس، انشغلت بشكل خاص في ممارسات التعذيب، والمعاملات الفظيعة والمهينة المرتكبة من قبل قوات الأمن والبوليس، وكان البرلمان الأوروبي اتخذ في جلسة انعقاده بستراسبورغ في ٢٢ أيار/مارس عام ١٩٩٦ قراراً عبر فيه عن ادانته للانتهاكات المستمرة لحقوق الإنسان في تونس، ويعتبر القرار الذي تم التصويت عليه عن اهتمام النواب بالمحاكمات التي يتعرض لها المعارضون السياسيون وعائلاتهم. كما أنهم يدينون ما يقوم به النظام من تقييد لحرية المواطنين التونسيين والغياب الكامل لحرية الصحافة^(١).

ثانياً _ الأسباب الخارجية :

الى جانب الأسباب الداخلية التي لها دور مباشر في انفجار الثورات الربيع العربي هنالك عوامل مؤثرة اخرى خارج حدود تلك الدول، للأسباب الخارجية دور لا يمكن إغفاله في الثورات والانتفاضات التي حدثت في الشرق الأوسط، ولكن في حال الربيع العربي، لا يظهر تأثير للأسباب و العوامل الخارجية بشكل واضح وجلي. حول تأثير العوامل الخارجية في ثورات الربيع العربي هناك طرفان:

الطرف الأول : يرى بان الثورات والاحتجاجات هي صناعة داخلية خالصة لم يكن فيها اي دور خارجي، ومن داخل هذا الطرف هناك آخرون يذهبون الى ابعد من ذلك ويعتقدون بأن سياسة الغرب وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية لم يكونوا فرحين بثورات الربيع العربي، ويتعاملون مع نتائجها كأمر للواقع .

نقف على بعض من المواقف والتصريحات التي ترجح كفة هذا الطرف: كانت الولايات المتحدة تنظر بقلق إلى ما يحدث في تونس وتعطي الشرعية التامة لنظام الحكم المعروف بولائه لها، لكن مع تطور الوضع انطلقا من أواخر سنة ٢٠١٠

^(١) توفيق المديني، سقوط الدولة البوليسية في تونس، الدار العربية للعلوم الناشرون، بيروت ٢٠١١، ص ١٤٠.

وبداية السنة ٢٠١١ أعدت بعض السيناريوهات وتوقعت إمكانية سقوط نظام بن علي فغيرت نسبياً موقفها من الأحداث في تونس وجعلت نفسها في موقف وسط بين النظام والشعب، وأدلت هيلاري كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية بتصريح للجزيرة الفضائية وأكدت فيه أن الحكومة الأمريكية تراقب ما يحدث في تونس دون أن تقف إلى جانب النظام على حساب الشعب، وفي تصريح آخر قالت كلينتون: إن احتجاجات تونس خليط من الاقتصاد والسياسة وإن واشنطن ليست طرفاً فيها. وعند انفجار الثورة (٢٥ كانون الثاني/يناير) في مصر دعت الولايات المتحدة كل الأطراف إلى الهدوء والتحلي بضبط النفس لتجنب العنف، وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية فيليب كراولي: إن الولايات المتحدة تساند الحق الأساسي في التعبير عن الرأي والتجمع لكل الشعوب. وقالت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون: إن حكومة مبارك مستقرة وإنها تسعى إلى سبل لتلبية احتياجات المصريين^(١).

اعتبرت صحيفة "الإنديبنندنت" البريطانية أن الثورات والانتفاضات الشعبية التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أثبتت فشل استراتيجيات القوى الغربية الدبلوماسية تجاه العالم العربي. وذكرت الصحيفة أنه لم يكن أحد يتوقع أن يشهد هذا العام ثورات تجتاح أقطار العالم العربي، وتطيح بأنظمتها في كبرى البلدان العربية. إنه من المؤكد أن نتائج تلك الثورات تركت تأثيرها الأكبر على العالم العربي، إلا أن فشل القوى الغربية في تقييم المواقف، ورؤيتها بأن أربعا من حلفائها في المنطقة، سينجحون في الصمود في أحلك الظروف، يجعل من الضروري إلقاء نظرة أكثر عمقا وتحليلاً على سياسات تلك القوى إزاء المنطقة. وأشارت الصحيفة إلى خطاب وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة "كونداليزا رايس" عام ٢٠٠٥ في القاهرة، حين نعت من خلاله "ما قدمه الغرب على مدى عقود طويلة في سبيل إحداث تغيير وإصلاحات في العالم العربي، فيما رأيته الضامن الأكبر لتحقيق الاستقرار في المنطقة، لكن جاءت ثورات

(١) عادل العبيدي : تونس " ما دور الولايات المتحدة في الربيع العربي " انظر الى هذا الرابط:

<http://www.almazdar.tn/management/article-7483>

العام الحالي لتثبت عكس ذلك، إذ لم يكن للقوى الغربية دور في اندلاع أي من تلك الثورات، وهو ما يفسر عجزها عن الاستيعاب السريع لحجم التغييرات الهائلة التي عصفت بالمنطقة^(٢).

الطرف الثاني : يرى الى دور العامل الخارجي كقوة مؤثرة في تحريك الشارع العربي وإحداث تغيير فيها. يعتقد هذا الطرف واستناداً إلى وثائق سرية كشفتها مواقع ويكيليكس أن الولايات المتحدة دفعت عشرات ملايين الدولارات إلى منظمات تدعو إلى الديمقراطية في مصر. وحسب الوثيقة السرية التي سربها الموقع والمصادر عن السفارة الأمريكية في القاهرة في ٦ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٧، فإن الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية "يوآس آيد" خصصت مبلغ ٥,٦٦ مليون دولار عام ٢٠٠٨، و ٧٥ مليون دولار في عام ٢٠٠٩ لبرامج مصرية لنشر الديمقراطية والحكم الجيد.

صحيفة الدايلي تليغراف البريطانية قالت إنها علمت أن الحكومة الأمريكية تدعم بصورة سرية شخصيات بارزة وراء الانتفاضة المصرية، وأن هذه الشخصيات كانت تخطط لتغيير النظام منذ ثلاث سنوات. فإن السفارة الأمريكية في القاهرة، ساعدت معارضا شاباً (وائل غنيم)* على حضور ندوة برعاية الولايات المتحدة في نيويورك للنشطاء الشباب، وعملت على إخفاء هويته عن أمن الدولة في مصر، ولدى

(٢) صحيفة الإنديبندينت : ثورات الربيع العربي أثبتت فشل الاستراتيجيات الغربية تجاه الشرق الأوسط، انظر الى

<http://al-mashhad.com/Print/Articles:>

هذا الرابط

* وائل سعيد عباس غنيم : مواليد ٢٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٠، القاهرة (هو ناشط مصري عبر الإنترنت ومهندس حاسوب يشغل منصب المدير الإقليمي في شركة جوجل لتسويق منتجاتها في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. يعتقد كثيرون أنه أبرز مفجري ثورة ٢٥ كانون الثاني/يناير التي اندلعت بمصر في ٢٥ من يناير/كانون الثاني عام ٢٠١١ للمطالبة بإسقاط نظام الرئيس السابق محمد حسني مبارك. أطلق عليه البعض لقب "قائد ثورة الشباب" لدوره الكبير في اندلاعها، ولكنه سمي نفسه في تصريح صحفي "مناضل كيورد" حيث كان مدير صفحة الفيس بوك "كلنا خالد سعيد" والتي كانت أحد الأسباب الرئيسية لإشعال نار الثورة، في تواضع أمام من قدموا أرواحهم في هذه الثورة، وأولئك الذين يصلون الليل بالنهار في ميدان التحرير وسط العاصمة القاهرة حتى لا تخبو جذوة الثورة. اعتقلته السلطات المصرية بعد يومين من اندلاع الثورة، ووضعت في مبنى مباحث أمن الدولة مكبلاً لمدة ١٢ يوماً. أنظر موقع ويكيبيديا :

[/http://ar.wikipedia.org/wiki](http://ar.wikipedia.org/wiki)

عودته إلى مصر عام ٢٠٠٨، أبلغ دبلوماسيين أمريكيين أن تحالفا من الجماعات المعارضة وضع خطة للإطاحة بمبارك وتنصيب رئيس منتخب ديمقراطيا عام ٢٠٠٨.

ثالثاً _ سيطرة الاحزاب الإسلامية

شهد الشرق الأوسط بعد انهيار الكتلة الشرقية وانتهاء الحرب الباردة صحوة إسلامية عارمة بشقيها المعتدل والمتطرف، وكان لكلا الشقين انصارهما على المستوى المحلي والدولي. وكان لهذه الصحوة تأثير كبير على العلاقات الدولية لدول الشرق الأوسط فيما بينها ومع الدول الأخرى ولاسيما الدول الغربية وكثير من العلاقات التي جرت ولا تزال تجري مع الدول الغربية تتضمن حديث كبيراً عن خطر التطرف الإسلامي، لأن في كثير من الدول الشرق الأوسطية هناك تيارات دينية إسلامية متطرفة واخرى معتدلة، على رغم عدم تأثير هذه التيارات في رسم سياسات حكوماتهم، لكن مع ذلك كان لديهم دور في توجيه العلاقات الخارجية لدولهم خاصة التيارات المتطرفة، وذلك عن طريق العمليات الإرهابية التي كانت تستهدف مصالح الدول الغربية وهذه العمليات قد أدت في بعض الأحيان الى توتر العلاقات بين هذه الدول و الدول الغربية. فمثلاً حادثة المدمرة كول الذي وقعت في أكتوبر من العام ٢٠٠٠ في ميناء عدن اليمني القت بظلالها على العلاقات اليمنية الأمريكية، كتبت صحيفة نيويورك تايمز في تقرير لها: "على الرغم من جهود بذلت من قبل وزارة الخارجية الأمريكية كانت تبدو مفعمة بالثقة، فإن هناك توتراً ملحوظاً في العلاقات اليمنية الأمريكية حول تعامل مكتب التحقيقات الفيدرالي مع التحقيقات... ويرفض مسؤولون يمنيون السماح للأمريكيين بالوصول إلى يمينيين بارزين يعتقد أن لهم علاقة بالهجوم، وتعترم السلطات اليمنية أن تقدم للمحاكمة ستة رجال أُلقي القبض عليهم عقب التفجير ويعتقد مكتب التحقيقات الفيدرالي إنهم غير ذوي أهمية وقد وجدت الحكومة اليمنية نفسها بين شقي رحى، فمن جهة ترغب في تحسين علاقاتها مع واشنطن، ومن جهة أخرى تعي أن المنطقة تشهد شيوع مشاعر العداء لأمريكا وقد رحب كثير من اليمنيين، مثل كثير من العرب، بالهجوم على المدمرة كول"، وكذلك توترت العلاقات الأمريكية مع المملكة العربية

السعودية اثر هجمات ١١ ايلول/سبتمبر، وحسب تقرير الذي تم نشره من قبل أجهزة الأمن الأمريكية في ٢٠٠٣، إن مسؤولين سعوديين كباراً قدموا مئات الملايين من الدولارات لجمعيات خيرية ومنظمات أخرى ربما تكون قد ساعدت في تمويل الهجمات، مما زرع الشكوك والتساؤلات، وفتح مجالاً واسعاً للتأويلات والتخمينات في إيجاد روابط ممكنة بين بعض الشخصيات في الحكومة السعودية وبين بعض المشتركين في الهجمات على برج التجارة العالمي بنيويورك، هذا الإعلان أثار حفيظة الحكومة السعودية التي وجدت نفسها متهمه بدون أي دليل، وغير قادرة على الدفاع عن نفسها لعدم وجود أدلة من الأساس، وأكد وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل أن المملكة العربية السعودية اتهمت زورا وبسوء نية بالاشتراك في هجمات ايلول/سبتمبر بناء على تكهنات مغلوطة مصدرها نوايا خبيثة تم إخفاؤها^(١).

رابعاً _ مشاهد مستقبلية للشرق الأوسط:

نجحت ثورات الربيع العربي في إسقاط أنظمة الحكم في كل من تونس ومصر وليبيا واليمن، وهذا الوضع الجديد سيؤدي الى خلق علاقات جديدة في المنطقة ستلغي بظلالها على العلاقات الدولية لتلك البلدان مع دول أخرى لا سيما في المنطقة أو مع الدول الغربية، رغم كل الفوضى الحاصلة اليوم في هذه البلاد في اعقاب هذه الثورات.

إن الأنظمة السابقة في تونس ومصر وحتى في ليبيا واليمن، كانت لها علاقات ممتازة مع الدول الغربية، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وكل من مصر وتونس لهما علاقات جيدة مع (إسرائيل)، فمصر وبموجب اتفاقية كامب ديفيد الموقعة بينها وبين إسرائيل في ١٧ ايلول/سبتمبر ١٩٧٨، ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية الموقعة بين الجانبين في ٢٦ اذار/مارس ١٩٧٨ كانت لها علاقات دبلوماسية ودية مع تل أبيب، وتونس ايضاً قامت بتطبيع علاقاتها مع إسرائيل، وأقامة العلاقات

^(١) معمر فوزي الخليل، العلاقات السعودية الأمريكية، انظر الى هذا الرابط :

<http://almoslim.net/node/85250>

الدبلوماسية على مستوى فتح مكاتب الاتصال بين تونس وتل أبيب برعاية السفارة البلجيكية في كل من البلدين في عام ١٩٩٤^(١).

إن الثورات والأحداث التي تجري على الساحة العربية قد أخلت بالتوازن في العلاقات الدولية لتلك الدول مع الدول الغربية التي كانت موجودة منذ الحرب الباردة، ولذلك ستشهد في المدى القريب، وفق التغييرات السياسية الحاصلة على المستوى الداخلي تغيير محتوى ومضمون العلاقات الدولية، والتغييرات السياسية الجديدة ستؤدي الى ظهور أحزاب وقوى سياسية على الساحة الداخلية، وإن تلك القوى الجديدة ستدشن السياسات الخارجية الجديدة وقد تقوم بمراجعة وأعادته النظر بالعلاقات الخارجية لدولها وفق ما تراه مناسباً للمصالح الوطنية، وإن السياسات الخارجية الجديدة لتلك الدول ستتغير وفق رؤيا الفلسفة السياسية للقوى التي ستسيطر على أنظمة الحكم ووفق فهمها للمصلحة الوطنية، وبسبب عدم وضوح ملامح مستقبل النظام السياسي في دول الربيع العربي وعدم تشكلها بشكل النهائي، لا يمكن التحدث حول المستقبل السياسي للمنطقة وكيفية شكل العلاقات التي ستربط دول المنطقة بمحيطها الخارجي ولذا نحاول ان نستعرض بعض المشاهد المحتملة الحدوث حسب القوى التي من الممكن ان تسيطر على أنظمة الحكم في الدول التي شملها الربيع العربي، وفي ما يلي اهم المشاهد على الساحة العربية :

المشهد الاول : بقاء الفوضى لفترة طويلة قد يؤدي بالدول التي حصل فيها الثورات الى التفتت والتفكك الى اقاليم او دول صغيرة.

المشهد الثاني : عودة التبعية الى الدول الكبرى أو التمحور بشكل اكبر حول الدول الاقليمية، كإيران وتركيا والسعودية، وبالتالي ازدياد حدة الصراع .

المشهد الثالث : استقرار الوضع بطريقة تدريجية وعودة حكومات شبه مركزية (قد تكون دكتاتورية) للسيطرة على الوضع الفوضوي في المنطقة، بدعم اميركي- روسي .

(١) توفيق المديني : مرجع سبق ذكره. ص ١١٨.

الخاتمة

مثلت منطقة الشرق الاوسط على الدوام نقطة اهتمام القوى الدولية والاقليمية على حد سواء، لما تمتلكه هذه المنطقة من مقومات جيوسراتيجية وطبيعية وبشرية وسياسية واقتصادية وحضارية ودينية، الامر الذي دفع هذه القوى للدخول في مجال التنافس ومن ثم الصراع مع بعضها البعض بهدف فرض السيطرة والهيمنة عليها. وان التحولات السياسية التي حدثت في المنطقة لم تكن سهلة على شعوب المنطقة، وخاصة الدول التي شهدت تغير انظمة الحكم في (تونس، ومصر، وليبيا، واليمن، وسوريا) وتأثرت بشكل كبير.

كما مثلت (ثورات الربيع العربي) جزء من تفكير منظومة الدول الغربية ولا سيما التفكير الاميركي للسيطرة على المنطقة وادخالها في حالة من الفوضى، تحت مسمى دعم الديمقراطية على حساب النظم الدكتاتورية، وكانت من نتائج هذا التحول صعود التيارات الاسلامية الراديكالية المتطرفة، مما قاد إلى انتشار الجماعات المسلحة المتطرفة بعد ان تمكنت من السيطرة على اراضٍ واسعة من بعض الدول العربية . من خلال دراسة الأحداث على الساحة السياسية في الشرق الأوسط عموماً والدول العربية خصوصاً وصلنا الى بعض الإستنتاجات يمكننا ان نلخصها في النقاط التالية :

١. تعد منطقة الشرق الاوسط من المناطق الاستراتيجية المهمة جداً، وهذا ما جعل جميع امبراطوريات الارض تسعى للسيطرة على هذه المنطقة .
٢. عانت دول الشرق الاوسط في بدايات القرن العشرين من حالة الاستعمار، وتم تقسيمها بين الدول الاستعمارية مما زاد من حالة البؤس لدى شعوب المنطقة، ومن ثم تم تقسيمها الى دول صغيرة .
٣. سيطرة الانظمة الدكتاتورية، وبقاءها في السلطة لفترات طويلة دون تطوير شعوب المنطقة مما ساهم في زيادة نسبة الجهل والتخلف .

٤. الأحداث السياسية والعسكرية التي أدت إلى ما يعرف بالربيع العربي لم تأت من الفراغ وإنما هي حصيلة مجموعة من الأسباب السياسية والاجتماعية والاقتصادية الداخلية وكذلك فإن للأسباب الخارجية دوراً في تفجير الثورات ولكن على نحو محدود.
 ٥. ثورات الربيع العربي أدت الى سقوط اربعة انظمة استبدادية في كل من تونس وليبيا ومصر واليمن، وبالتالي سوف تفرز نوعاً جديداً من العلاقات الدولية بين دول المنطقة والدول الغربية، وسوف تغير التحالفات السياسية على مستوى المنطقة بشكل خاص وعلى المستوى الدولي بشكل عام.
 ٦. ثورات الربيع العربي سوف هذه الأحداث والثورات لها دور كبير في تنشيط التيارات الإسلامية بشقيها المتطرف والمعتدل والتواجد بالقوة على الساحة السياسية، وهذا ما دفع المنطقة في الوقوع في براثن التعصب الديني والقومي والطائفي نتيجة الشحن الخارجي وحالة الفقر الشديد. القوى الإسلامية تدرك وبوضوح ليس بمقدورها تطبيق جميع مبادئها وعلى رأسها تكوين الإمارة الإسلامية لذلك سوف تضطر الى التنازل عن بعض مبادئها، وللحفاظ على المصالح الوطنية عليها التعاون والائتلاف مع القوى الليبرالية والديمقراطية في تشكيل الحكومات.
 ٧. على رغم عدم تشكل الرؤية السياسية للدول التي حدثت فيها الثورة، بسبب عدم الإستقرار الأمني والسياسي، ولكن سوف تغيير لسياسات الخارجية لتلك الدول تجاه دول المنطقة والدول الغربية.
 ٨. وفق نتائج الانتخابات وكذلك التوجه الجماهيري العام في المنطقة عامة ودول الربيع العربي خاصة سوف تهيمن القوى الإسلامية على السلطة السياسية.
 ٩. اثناء الثورة كان هناك أجماع حول الثورة وشعارها الرئيس الا وهو سقوط النظام، ولكن بعد الثورة هنالك انقسام واضح يتهدد مستقبل الثورة والمنطقة برمتها، ولم تتبدد المخاوف من الحرب الأهلية حتى الآن خاصة في ليبيا ومصر.
- إن الشرق الاوسط سيبقى لفترة قد تطول مركزاً للصراع العالمي وذلك للعدد من الاسباب السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والايديولوجية ومن المرجح ان

تزداد حدة الصراع وذلك لوجود التغذية الداخلية والخارجية للصراع الدائر في دول الشرق الاوسط، وان لم يع شعوب المنطقة خطر الصراع المستمر لأنها ليست سوى اداة بيد القوى الكبرى وقد تنهار هذه الدول، ومن الممكن ان تقسم الى أقاليم طائفية وقومية مثل ما هو مخطط له في ما يسمى خارطة الشرق الاوسط الجديد، التي تهدف إلى إعادة تقسيم المنطقة من جديد لما يخدم المصالح الامريكية، كما قسمت القوى الكبرى في سايكس بيكو ١٩١٧، المنطقة العربية الى دول هيمنت عليها وتقاومت خيراتها كل من فرنسا وبريطانيا وايطاليا، فعلى شعوب هذه المنطقة الانتباه إلى المخطط الخطير المرسوم لهذه البلاد.